

هولندا والعرب: أربعة قرون من الحوار



الجزيرة العربية لم تكن مثيرة للاهتمام كما يبدو إلا أن هولندا كانت أكثر الدول الأوروبية نشاطاً في المنطقة وذلك خلال القرن السابع عشر وجزء كبير من القرن الثامن عشر.

القرصنة وتجارة الرقيق

ان التوسع البحري والتجاري لهولندا والموازي للقيام بحرب ضد اسبانيا بحرا قد اوصل الهولنديين قبل 1590 الى شواطئ شمال افريقيا الذي كان معروفاً في ذلك الوقت باسم -بربرية- أو الدول البربرية (المغرب.. الجزائر.. تونس.. وطرابلس). في اواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر قرر الهولنديون القيام باجراء اتصالات على مستوى متكافئ مع المغرب سنة 1596 والدول البربرية في الجزائر 1604 وتونس 1610 وطرابلس 1626 وذلك من خلال مبعوثين خاصين. ولم تكن هذه الاتصالات الا محاولة لدفع الحكام هناك الى عقد تحالف ضد اسبانيا ومن اجل ضمان سلامة ملاححة السفن الهولندية في تلك المناطق من هجوم القرصنة الشيطين من شاطئ شمال افريقيا، بالإضافة الى ذلك فقد كان هدف هولندا التوصل الى فتح موانئ شمال افريقيا امام السفن الهولندية والأفراج من الهولنديين.. إذ ان القرصنة كانت احد اشكال الحروب القراصنة والذين اصبحوا اختطافهم نتيجة لاعمال القرصنة والذين اصبحوا عبيداً في عداد الرقيق. وفي محاولة لظهور حسن النية تجاه حكام المغرب والجزائر تم الافراج سنة 1605 تحت اشراف

التركي. لم تكن التجارة هي الهدف الوحيد الذي دفع الهولنديين الى الخليج.. ففي بداية القرن السابع عشر كان الهولنديون طرفاً في تحالفات متعددة هدفها طرد البرتغاليين من مسقط حيث نجحوا باقامة علاقات مباشرة مع امام عمان ضد البرتغاليين واقاموا مركزاً تجارياً في مسقط. الى جانب ذلك فان كون هولندا اقوى دولة بحرية في الخليج منذ 1625 وحتى بعد 1740 كان على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للسياسة المحلية للشركة.

كانت سياسة الشركة القائمة على التجارة الحرة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعرب قد مكنت السفن الهولندية من التنقل بحرية ودون ان تواجه صعوبات من السفن العربية التي تصدت للسفن البرتغالية والانكليزية والاندليزية التي كانت تريد فرض سيطرتها على التجارة العربية .

ان المحاولات الهولندية لانشاء علاقة مع شبه الجزيرة العربية لم تتكلل بالنجاح .. ولم يكن للمبادرات التي كانت الهولندية.. وكذلك سنة 1877 أي مستقبل لان الإنكليز لم يكونوا ليقبلوا بمناقش يحتل مركزاً اقتصادياً قوياً في الخليج . فالقنصلية الهولندية في جدة كانت بمثابة مكتب يشرف على الحجاج في الهند الهولندية.. فقد غادر الى مكة بين 1890 و 1910 ما يصل عدده السنوي الى 70 الف حاج.. وقد كان 10 بالمئة من هؤلاء من مواطني المملكة الهولندية. وبالرغم من ان العلاقات الهولندية مع شبه

مبعوثين هولنديين- عن عدد من المغاربة والجزائريين الذين كانوا قد وقعوا اسرى في ايدي الهولنديين اثناء تحرير مدينة سلوس الهولندية من ايدي الاسبان. في الجزائر وفي ما شابهها من مدن شمال افريقيا كتونس وطرابلس كان للوجود الهولندي حضور متعدد الجوانب...

فالى جانب تركز القنصلية والتجار كانت هناك مجموعة اخرى من سفن القرصنة الهولنديين.. إذ ان القرصنة كانت احد اشكال الحروب القراصنة والذين اصبحوا عبيداً في عداد الرقيق. وفي محاولة لظهور حسن النية تجاه حكام المغرب والجزائر تم الافراج سنة 1605 تحت اشراف

كانت تحاول سد العجز في الاقتصاد في البر بواسطة القرصنة ، فقد كانت سفن القرصنة الهولنديين في المرتبة نفسها، فقد لعب الهولنديون من امستردام -هورن- فليسفن- ويكهاوزن دوراً نشطاً في القرصنة العالمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ما قرب التقاء المصالح الطبيعية بين الهولنديين والعرب ضد اسبانيا وقد اختار بعض القراصنة الهولنديين الجزائر مقراً لهم ومنهم من اعتنق الاسلام.. وقد وصل بعضهم الى رتبة امير بحر أو باشا في خدمة ملك المغرب أو تحت الراية العثمانية. لقد ادخل الهولنديون الى بلدان المغرب العربي الصناعة

الحديثة للسفن والملاحة والحرب في البحر. وقد اشتهر منهم سيمون ده وانسر وهو الذي ادخل الملاحة الشراعية الى تونس. وفي سنة 1626 ضم الاسطول الجزائري 50 قبطاناً من اصل هولندي منهم قرير وصل باسطوله الى ايسلند مراد رئيس المعروف باسم يان بانسن من مدينة هارلم الذي وصل باسطوله الى ايسلند وهو الذي عينه شريف المغرب في فترة لاحقة حاكماً على سلا وذلك بعد ان انهى خدماته وصلاته بالجزائر. وحالياً تحمل بلدية بير ماندريس أو بير مراد رئيس بالقرب من مدينة الجزائر اسمه حتى اليوم . سليمان رئيس العرف باسم ده فينبور كان أمر اسطول مكون من 50 سفينة

شراعية وذلك بين 1606 الى 1620 . على يتشين وهو قبطان من فليسفن وصل الى رتبة (بكلر بك) أي باشا في الجزائر في سنة 1645 بعد ان كان ولتسنوات طويلة أمين طائفة القراصنة. وبقي نصبه التذكاري والمسجد الذي بناه باسمه (علي يتشين).

هذه الاسماء هي رمز لاندماج الثقافة والملاحية العربية-الاسلامية الهولندية والتي طورت شمال افريقيا من هذه الناحية في القرن السابع عشر حتى اصبحت أكثر البلدان تقدماً. الى جانب تصدير التقنيات والمعدات الحربية وقطع غيار السفن.. كان هناك عنصر اخر للاندماج والتبادل الثقافي هو تجارة الرقيق، وبعبارة ادق تبادل اسرى المسلمين والمسيحيين الذين اختطفوا اثناء عمليات القرصنة داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه. وقد كانت لسوق الرقيق صفة بورصة تجارية شكلت فيما بعد سبباً رئيساً لتبادل العلاقات المستحيل لحماية سفنها لذلك افريقيا واطلق عليها تجارة-تحرير العبيد.

لقد كان على هولندا عمل المستحيل لحماية سفنها لذلك كان لا بد لها من المحافظة على علاقات جيدة مع مراكز القوى المختلفة في شمال افريقيا.

فالاتفاق مع المغرب عام 1610 كان النتيجة الأولى للمحافظة على علاقات صداقة مع مراكز القوى، هذه، وفي عام 1615 بدأت علاقات دبلوماسية مع تونس فكان يوسف داي أول من عقد صلحاً و (عهد امان) كما كان يطلق عليه الحكام المسلمون حسب الشريعة الاسلامية مع هولندا . ووقد

واهي قام اسطول هولندي - انكليزي مشترك بالهجوم من اجل ايقاف أعمال القرصنة والشرق دون ان تواجه خطراً كبيراً من دول شمال افريقيا. وقد جاء احتلال الفرنسيين للجزائر عام 1830 ليضع نهاية لمكانة الجزائر كميناء للقرصنة مرهوب الجانب على امتداد اربعة قرون.

استفدنا في هذه الدراسة من الكثير من المصادر الموجودة في ارشيف الدولة العام في لاهاي.

عزيز السيد جاسم:

ثمناً لسلطة الحق دفع حياته



غسان كاظم

حياته ثمناً لهذا الكتاب، حيث عجلت السلطة الغاشمة باعتقاله وقتله في اقبية التعذيب، والى جانب مؤلفاته السياسية والفكرية والدينية، كتب كذلك في الحق الأدبي، ففي مجال النقد الشعري والروائي، له عدة كتب وعشرات البحوث والمقالات الموزعة في مختلف الصحف والمجلات .

مثلما كتب عددا من الروايات والقصص منها رواية (الزهر الشقي) و(المناضل) و (الفتون)، وهذه الأعمال تمتلك جدارة فنية عالية على صعيدي التنكيك السردى والاسلوبى، وتقف دون شك الى جانب افضل ابداعات الرواية التاريخية فضلا عن قيمتها الجمالية والحس الباذخ المعاصر، وافكارها ومعمارها وحساسها، بما تجسم من وقائع واحداث اشارت الى مراحل تاريخية محددة من تاريخها المعاصر، وتجلى ذلك خاصة في روايته (الزهر الشقي) التي تعد القمة في ابداعه الروائي، وعلى الرغم من ذلك فان اعماله الفنية والأدبية لم تحظ بأي نصيب من الدراسات النقدية أو الاهتمام الذي تستحقه، اما اجزء ملحج في الكتابة لديه، فقد تمثل في أسلوبه السبالي المغمم بعذوبته الخاصة، والتجانس في الانطلاق لبيان افكاره ومعالجة المعاني والدلالات، وفي رسم الشخصيات والأجواء على نحو مؤثر وخالق، وعن مزايا ملامحه الاسلوبية، تحدث في حوار له بالقول: (ان اسلوبى في الرواية والقصة هو الاسلوب المركب والبسيط، المركب من الواقعية والرمزية والرومانتيكية،

طوره: عدنان الفخفاخي

بمقدار ما يستوعب التركيب العام لوضعي الثقافي والنفسي خاصة، والبسيط في رسم الحالات الأولى لمعطيات الذهن والنفس، وهي الحالات التي تسم باليساطة، والبراءة، ان اسلوب كتاباتي الروائية، هي وحدة الاساليب المتعددة، التي تقرها الخبرة الشخصية، ويتصل المنهج الاسلوبى الموحد هذا بنظراتي التركيبية الشمولية، ان الطبيعة المثقفة، تحول كل شيء الى افكار وتأملات وفي الوقت ذاته بالظواهر الى الرمز الداخلى، الى نواة النواة، حيث كل الاشياء تتحد بالروح المشترك، والحقيقة ان الكتابة، هي ممارسة خلاقة لا بد من ان تنطوي على الباهر والجدي، والمثير حتى في اوضاعها الميكانيكية، بشرط ان تأخذ انفتاحها الصحيح على نفسها، ثم على سواها، فالكتابة تصنع نفسها صناعة ذاتية)، ويتضح لقارئ ابداع الاستاذ عزيز السيد جاسم ان يتلمس تحقق صدى رؤاه وافكاره وتحليلاته النقدية، في معظم اعماله الروائية والقصصية كنتاج ابداعي له خصائصه وفضاءاته، بصفتها خلق وممارسة حياة يرفدها فهم عميق للتاريخ وللإنسان في مسيرته واندفاعه على جادة الخير والجمال.

وعلى الرغم من استشهاد عزيز السيد جاسم، الإنسان والمفكر والفنان، فان عنفوان عطائه وثمار جهوده الفكرية والأدبية ستظل لاجوار طويلة قائمة منتهلا ثرا للقارئ ومحل تقدير واكبار لتجرته، بقيمتها الحية في الفن والفكر العراقي المعاصر.



القصصية كلها على عكس الواقع العراقي المرير بترميز ذكي: يلمح دون ان يصرح كي لا تكتشف السلطة فضحي ممارساتها الدائمة والظاهري ذلك الواقع المزعج فتسومني العذاب وربما الضمغ القتل في سجونها المظلمة؟ اه لقد سرق صدام حسين حياتنا، يا ابي! لقد سرق صدام حسين زهرة شباب العراق، لقد سرق حياتي.

❖ لا شك في ان للاديب رسالة، ما رسالتك الادبية التي حملتها منذ ان كتبت اول سطر ادبي؟

- نحن متفقون على ان رسالة الاديب رسالة انسانية، فهو الانسان الذي يحارب بقلمه كل معالم الظلم والتعسف والاضطهاد ويعكسها بادبه سواء كان شعراً ام قصة ام رواية ام مسرحية فكانت رسالتي الاولى هي: مقارعة نظام صدام حسين الظالم الذي اذلنا فسعيت جاهدا لتبييض وجه الانسان العراقي الذي سودته جوقه مداحي الطاغية، وقد حملت قصصي هذه الرسالة، وتنبأت

بنهاية عصره الكبير. ❖ كانت قصص (وتبقى قطام) متميزة واستثنائية وقد نوه عنها في مسابقة عزيز السيد جاسم للابداع، فمن هي قطام؟ وما هي دلالات قصة (وتبقى قطام)؟

- قطام هي امرأة عربية رائعة الجمال كانت في بيت الامام علي بن ابي طالب (ع) وقد رعاها الامام بالعطف والمودة كان يطعمها ويكسوها الا انها

القاص علي السباعي: ثنبات قصصي بسقوط الصنم



القصصية كلها على عكس الواقع العراقي المرير بترميز ذكي: يلمح دون ان يصرح كي لا تكتشف السلطة فضحي ممارساتها الدائمة والظاهري ذلك الواقع المزعج فتسومني العذاب وربما الضمغ القتل في سجونها المظلمة؟ اه لقد سرق صدام حسين حياتنا، يا ابي! لقد سرق صدام حسين زهرة شباب العراق، لقد سرق حياتي.

❖ لا شك في ان للاديب رسالة، ما رسالتك الادبية التي حملتها منذ ان كتبت اول سطر ادبي؟

- نحن متفقون على ان رسالة الاديب رسالة انسانية، فهو الانسان الذي يحارب بقلمه كل معالم الظلم والتعسف والاضطهاد ويعكسها بادبه سواء كان شعراً ام قصة ام رواية ام مسرحية فكانت رسالتي الاولى هي: مقارعة نظام صدام حسين الظالم الذي اذلنا فسعيت جاهدا لتبييض وجه الانسان العراقي الذي سودته جوقه مداحي الطاغية، وقد حملت قصصي هذه الرسالة، وتنبأت

بنهاية عصره الكبير. ❖ كانت قصص (وتبقى قطام) متميزة واستثنائية وقد نوه عنها في مسابقة عزيز السيد جاسم للابداع، فمن هي قطام؟ وما هي دلالات قصة (وتبقى قطام)؟

- قطام هي امرأة عربية رائعة الجمال كانت في بيت الامام علي بن ابي طالب (ع) وقد رعاها الامام بالعطف والمودة كان يطعمها ويكسوها الا انها

خانته وطلبت من عبد الرحمن بن ملجم المرادي ان يقتل الامام علي (ع) ويكون مهرها دم الامام (ع)، اما عن قصة (وتبقى قطام) فيها قطام رمز السلطة وتمثل صدام حسين وتقررت جرائمه البشعة يحيطها المناقون والجلادون امثال علي حسن المجيد (الكيميائي) وقد اظهرت تلك الجرائم بالمشاهد القصصية المؤثرة التي رفعت من الشأن الادبي لهذه القصة التي اعتر بها كثيرا .

❖ ثمة رموز تاريخية وشعبية يكتظ بها المتن القصصي لقصة (وتبقى قطام) ما هي دلالاتها السياسية والاجتماعية؟

- في الحقيقة، معظم رموز القصة المذكورة كانت رموزا سياسية حتى الرموز الشعبية

قطام رمز لسلطة صدام وسيمبا زوجة النبي لوطي التي وشت بزوجهة والياومنين بالله من اتباعه لحاكم المدينة ورجل الدين الذي بقى وسطيه منتصبين بعد موته او احد رجال الانتفاضة الشعبانية المباركة، والشبح الذي يحاور قطام يمثل الشعب العراقي المظلوم فكما ترى من الرموز السابقة انها كانت سياسية.

❖ ما اهم موضوع تناولته قصة (وتبقى قطام)؟

- اهم موضوع في هذه القصة هو النبوة الحقيقية والصادقة بنهاية طاغية العراق صدام حسين وخاصة في المقطع التالي:

(قال الشبح:

- يوما اثر اخر، الحلقة تضيق عليك، تصغر، والدائرة الكبيرة اصبحت خرم ابيرة وانت محاصر وسط الخرم بالضبط في منتصفه يوما بعد اخر وحدك تلوك افكك، انت افة الهوامش لم تكن يوما دودة كنت تضاحة تتعفن داخل الدودة والدودة في شجرة لا شرقية ولا غربية بالضبط في مركز (الحصار).

وقد انتهت صدام حسين في حضرة ينتظر محاكمته على جرائمه التي ارتكبها بحق الشعب العراقي حيث اودى بحياسة الملايين في حروبه ومقاربه الجماعية.

التي فرح لكتابتي هذه القصة الوثيقة كي يقرأها الجيل الاتي الذي لم يعيش مآسي نظام صدام حسين، ويقرأها الجيل الحالي الذي عاش الأمرين من ظلمه واضططه.